الفصل السادس عشر

الاستراتيجية الفينومنولوجية (الظاهراتية)

«نظرية البناء الشخصي لجورج كيلي»

١ ـ الشخص باعتباره عالماً.

٢ ـ البناءات (التراكيب) الشخصية: الوحدات الأساسية للشخصية.

ـ صفات البناءات:

١ ـ مدى مناسبتها وملاءمتها.

٢ ـ مركز التناسب والملائمة.

٣ ـ النفاذية.

٣ ـ المبدأ الأساسي وقرائنه ملازماته وخاصياته.

ـ المبدأ والافتراض الأساسي.

ـ خاصية البناء.

ـ ملازمة الفردية.

ـ ملازمة التفرع والانقسام.

ـ خاصية المدى.

ـ ملازمة التنظيم.

obeikandl.com

ـ خاصية الاختيار.

ـ خاصية التجربة والخبرة: كيف يتغير نظام البناء.

ـ خاصية التعديل والانتقال.

ـ خاصية العمومية والشيوع.

ـ خاصية الاجتماعية.

٤ ـ التقويم التشخيصي للبناءات الشخصية.

ـ اختبار دور البناءات في ذخيرة الفرد.

٥ ـ تطبيقات نظرية البناء الشخصي.

٦ ـ علاج الشخصية وتغيرها.

ـ مشكلات المتعالجين في نظرية البناء الشخصي.

ـ طريقة البناء الشخصي في علاج الشخصية وتغيرها.

ـ العلاج بتثبيت الدور (الدور الثابت).

obeikandl.com

نظريـة البنـاء الشخصـي لجـورج كيلـي

هناك دائماً طرق بديلة لفحص العالم والنظر إليه. ويستخدم جورج كيلي George kelly (١٩٠٥ ـ ١٩٦٧) مصطلحاً فلسفياً هو البديل البنائي ويعتبر الأساس في نظريته عن البناءات (التراكيب) الشخصية.

لقد بدأ كيلي عمله عام ١٩٣١ وقد بدأ كغيره من علماء نفس الشخصية ، كعيادي معالج متمرس في مجال المعالجة النفسية. وكان كالغالبية من علماء النفس الإكلينيكيين الذين تدربوا على التحليل النفسي. وخلال ممارسته لعمله ، فقد قرر أن دقة تفسيراته تعتبر أقل أهمية في مساعدة المتعالجين على إجراء التغيير بالمقارنة بالتفسيرات التي تجعل المتعالج ينظر لمشكلاته بطريقة أخرى مختلفة. ولذلك فإن كيلي ، حاول (١٩٦٩) تجربة غير رسمية ويصفها بأنها محاولة فَبّركة عملية التبصر Insight وقد انتهى للقول بأن المتعالجين لهم تفسيراتهم الخاصة عن الحوادث في حياتهم. وهذه التفسيرات هي المسؤولة بشكل أساسي عن سلوكياتهم غير السوية. لقد اعتقد كيلي أن المتعالجين سيغيرون من سلوكهم الشاذ إذا استطاع المعالج أن يساعدهم في تغيير تفسيراتهم (بناءاتهم) وبذلك يمكنهم النظر لأنفسهم وللعالم من حولهم بطرق مختلفة.

١ ـ الشخص باعتباره عالماً

the person as a scientist

لقد وجد كيلي (١٩٥٥) تناقضاً في الطريقة التي يدرس بها علماء نفس الشخصية الناس ، ويهتم العلماء في عمليتي التنبؤ والتحكم أو الضبط ، وفي الواقع فإن كل شخص بحاجة إلى أن يتنبأ بالأحداث وأن يستطيع السيطرة عليها والتحكم Control بها ويقرر كيلي أن الناس يعملون بشكل ثابت ومستمر للتنبؤ بالأحداث anticipate وضبطها في حياتهم. وهذه الملاحظة التي توصل إليها ، قد قادته إلى أن ينظر للناس على أنهم علماء ومثل العلماء ، فإن كل واحد منا له نظرته حول العالم. وهذه النظرات توجه السلوك (سلوك الناس) في تعاملهم مع الأحداث والآخرين في المحيط ويفترض كيلي ، كما تقع الأحداث بالواقع ، فإن هناك نظريات يتم وضعها أيضاً. وفوق ذلك ، فإن هذه النظريات يمكن دراستها علمياً (بطريقة علمية).

٢ ـ البناءات (التراكيب) الشخصية : هي الوحدات الأساسية للشخصية

«personal Constructs: the Basic units of personality»

لقد افترض كيلي (١٩٥٥) أننا ننظر للعالم من خلال قوالب وأنماط شفافة transparent patterns or templets ونعمل على إيجاد هذه الأنماط والقوالب ثم نحاول أن نجانسها (نناسبها) مع الوقائع التي يتألف منها هذا العالم. ويسمي كيلي هذه القوالب والأنماط بالأبنية (التراكيب) أو البناءات Constructs والبناء هو تمثيل أو تفسير representation or Interpretation لحادثة ما أو واقعة معينة. إنه طريقة للنظر إلى شيء ما. فالبناءات (أو التراكيب) ليست مجردة عن الوقائع ، ولكنها تضم الأحداث الواقعية. وينشأ البناء من الشخص ذاته وليس من الحادثة التي نفسرها. وهاك بعض الأمثلة عن البناءات :

الثبات مقابل التغير ، الصحة مقابل المرض ، المرونة مقابل الجمود أو الدوغماتية ، الحار مقابل البارد ، الصداقة مقابل العداوة.

إن بناءات كيلي دائماً ، تأخذ شكلها من خاصية أو صفة ما مقابل الصفة الأخرى المعاكسة لها. وكل شخص يملك مجموعة فريدة ومميزة منها. وغالباً ماتبدو هذه البناءات والتراكب على أنها واحدة أو متشابهة عند مختلف الناس خلال وصفهم للأحداث. وهذا ما يحدث بسبب أننا لا نستطيع التعبير عن بعض الفوارق والمميزات الثابتة والبسيطة للمعاني باستخدام اللغة. مثلاً ، أكثرنا يستعمل البناء الذي نسميه (جيداً مقابل سيىء) ولكن هذا البناء أو التركيب له معانٍ مختلفة عند كل شخص. وفوق ذلك ، فإن من الضروري أن تفهم أبنية الشخص من وجهة نظره المميزة والفريدة، وهذا يعتبر النقطة الأساسية والجوهرية للاستراتيجية الظاهراتية.

تستخدم البناءات (التراكيب) من أجل بناء Construe أو وضع تفسير Interprate ومعنى للأحداث. ويستخدم كيلي كلمة حادثة event للإشارة إلى أي شيء يحدث في حياة الشخص. ومن خلال وضع الشخص معنى وتفسيراً لأي حادث ، فإنه يتنبأ بأن بناءً خاصاً سيتناسب ويتجانس بدقة مع الحادثة أو الحدث الذي يمر به. عندها يختبر الشخص فرضياته من خلال سلوكه وتصرفاته باعتبارها أوامر بنائية construct dictates.

إن البناءات التي تتنبأ بالأحداث جيداً يتم الاحتفاظ بها واستبقاؤها أما تلك التي تفشل في التنبؤ بدقة فيتم تنقيحها أو إهمالها. وبهذه الطريقة فإننا نطوِّر نظام أبنيتنا (تراكيبنا) الشخصية. إن صدق البناء يقاس عن طريق كفايته التنبؤية Predictive efficiency والبناء الأكثر نجاحاً هو الذي يتفاعل مع الحدث أو الأحداث بحيث يقدِّم درجة عظيمة من الكفاية التنبؤية.

إننا نستمر في تغيير بناءاتنا الشخصية وتعديلها. ومن الممكن لهذه

البناءات أو التراكيب أن تفشل أحياناً في المشاركة بالأحداث المقبلة ، ففي مثل هذه الحالة ، من الضروري أن تتم عملية التنقيح revision إذا أردنا إنشاء بناء (أو تركيب) عن العالم يتمتع بدرجة عالية من الكفاية التنبؤية. والبناءات التي تتضمن أحداثاً مستقبلية ليست بعيدة يتم تنقيحها بدرجة أكبر وبصورة متكررة ، وذلك لأن التغذية الراجعة Feedback المتعلقة بقدراتنا يتم الحصول عليها بسرعة. ويجب الانتباه إلى أنه لا توجد حادثة ما مرتبطة ببناء وتركيب معين. فيما يتعلق بالبديل البنائي ، فإن أية حادثة يمكن النظر إليها من وجهات نظر مختلفة. وعندما نغير البناءات ونعدلها فإننا نغيِّر في سلوكنا وتصرفاتنا من أجل إنشاء بناء أو تركيب معين.

صفات البناءات:

تختلف البناءات (التراكيب) استناداً إلى ثلاثة أبعاد هامة:

١ ـ مدى مناسبتها أو ملائمتها Range of convenience إن مدى مناسبة البناء يعزى إلى مجموعة الأحداث التي ينطبق عليها البناء: إن كل البناءات عندنا يكون مفيداً لوضع بناء يفسر مجموعة من الأحداث الخاصة عندنا إن مدى المناسبة يضع حدوداً حول فائدة البناء ، فالبناء متديِّن مقابل غير متديِّن مثلاً ، قابلاً للتطبيق في وضع وإنشاء بناءات في مجالات إنسانية عديدة ، ولكنها غير قابلة للتطبيق من أجل التنبؤ بسلوك الحبيب مثلاً. إن تطبيق البناء بغض النظر عن مدى أو درجة مناسبته تجعله ضعيفاً من حيث درجة كفايته التنبؤية. إن لكل البناءات حدوداً من حيث درجة مناسبتها وملائتمها. ولكن هذه الصفة تختلف من بناء لآخر. مثلاً ، البناء جيد مقابل سيء له مدى واسع من المناسبة (التطابق) بالمقارنة مع البناء صادق مقابل كاذب أو (أمين مقابل غير أمين) لأن الأول يستعمل ويطبق في مدى واسع من الأحداث أكثر من الثاني.

٢ ـ مركز الملاءمة والمناسبة Focus of convenience إن لكل بناء

مركز مناسبة وملائمة. وهي نقطة التنبؤ القصوى في مدى ملائمة البناء ومناسبته للأحداث. مثلاً ، مركز الملائمة في البناء (متدين مقابل غير متدين) قد يكون آداب وأعراف الكنيسة. ولكن الخداع والغش بالإمتحان cheating on an exam قد يكون بناءً (تركيباً) يفسر سلوك الغير متدين ولكنه أكثر كفاية وفعالية كبناء لتفسير الأمين الصادق مقابل غير الأمين المخادع. فالخداع والغش بالامتحان يقع على درجة الملائمة لكلا البنائين ، ولكنه مركز الملائمة بالنسبة للبناء الأخير فقط.

٣ ـ النفاذية permeability وهي مدى استعمال البناء في تفسير أحداث جديدة. فكلما كان البناء منفتحاً واسعاً كانت قابليته النفاذية أكبر. فالبناء الذي يتميز بدرجة نسبته من النفاذية يمكن استعماله على عدد من الأحداث الجديدة ، وهذا يشمل مدى مناسبة البناء وملائمته. وعلى العكس ، بالنسبة للبناء الذي تكون قابليته النفاذية ضعيفة فإنه ينطبق على أحداث قليلة ويتميز بالضيق فعندما يستعمل الفرد البناء التالي: الموسيقى العاطفية الجيدة مقابل السيئة ، فإنها قابلة لتفسير أنواع عديدة وجديدة من الموسيقى. إن النفاذية تناسب فقط ، الأحداث في مدى ملائمتها أو مناسبتها للبناءات بالتعريف ، فإن البناء هو عدم نفاذية أو اختراقه لأي حادث خارج درجة ملائمته ومناسبته للحدث. مثلاً ، مدى ملائمة البناء: الذكي مقابل البليد ، يتضمن الحيوانات والأفكار ومحتمل الكمبيوترات. وعلاوة على ذلك ، فإن البناء له قابلية النفاذ والاختراق للحيوانات والأفكار والكمبيوترات.

٣ ـ المبدأ (الافتراض) الأساسي وقرائنه نتائجه المرافقة
«the fundamental postulate and its Corollaries

إن نظرية البناء الشخصي ، اعتمدت على مسلمة أساسية فردية ، وإحدى عشرة نتيجة متلازمة لوصف تفصيلاتها. وكما هو الحال في أية

نظرية أخرى للشخصية ، فإن جورج كيلي يستعمل بعض المصطلحات الشائعة في طرائق مميزة وفريدة. ولكن المصطلحات والمفاهيم تكون غنية في المعنى وبذلك تفسر تفسيرات كثيرة.

آ ـ الافتراض أو المبدأ الأساسي:

تتشكل العمليات السلوكية عند الفرد نفسياً على شكل قنوات ، من خلال الطرق التي يستعملها ويتفاعل بها مع الأحداث» ، (كيلي ١٩٥٥) إن النقطة الرئيسية لهذا الافتراض أو المسلمة هي أن العمليات النفسية (وضمنها الشخصية) تكون موجهة للتنبؤ بالأحداث. وبهذه الطريقة يصف كيلي السلوك الإنساني. إنه لا يقول شيئاً عن الدوافع والطاقات التي تحرك السلوك عند الفرد خلال مشاركته ومواجهته للأحداث ، لأنه يرى أن الناس أعضاء نشيطة وفعالة. ولذلك فإنهم ليسوا بحاجة لأن يكونوا محرَّضين ومدفوعين من خلال حاجات ودوافع معينة. إن المسلمة (الافتراض) الرئيسي هذا عند كيلي ، يبين لنا أيضاً أن نظريته تهتم بشكل رئيسي بالعمليات الفعَّالة النشيطة active processes أكثر من البناءات الستاتيكية الثابتة للشخصية.

ب ـ خاصية (متلازمة) البناء the construction corollary.

«يتفاعل الشخص مع الأحداث من خلال تفسيره لنتائجها وإنشاء بناءات خاصة متعلقة بتأثيراتها» (كيلي ١٩٥٥) إننا نقوم بوضع تنبؤات حول الأحداث عن طريق النظر إليها من حيث إعادة حدوثها وما يرافقها من نتائج وآثار. وهذه النتائج المرافقة للأحداث (والتي استناداً إليها ننشىء بناءات خاصة بها) تعتبر بمثابة خصائص وصفات لها تتميز بالثبات النسبي مع الوقت وفي الأوضاع المختلفة. فلا يوجد حادثان متماثلان تماماً. ولكن بناءاتنا الخاصة (تفسيراتنا) لها يكون واحداً ومتشابهاً (كيلي ١٩٧٠).

عندما ننشىء بناءات خاصة بالأحداث (تفسيرات) فإن علينا أن نحدد ونتعرف على المواضيع والمجالات التي تكون متشابهة ومختلفة. فالاختلاف في الموضوعات يزودنا بالتغاير والاختلاف الرئيسي والضروري لتفهم أي مفهوم. «وجبة شهية» أو «مشروب لذيذ» أو حفلة صداقة مسلية» تعني لنا شيئاً كثيراً يميّز عن متناقضاتها «الوجبة غير شهية» أو «المشروب غير لذيذ» «الحفلة غير مسلية».

فبدون هذه الفروقات والتمييزات فإننا سوف نتمتع بالوجبات والشراب وصحبة الرفاق ولكن سوف لا نكون قادرين على تمييزها بأنها لذيذة وشهية ومسلية. إن فهم الفروق والمميزات قد يتم ضمنياً فقط عندما نقوم بوضع بناءات للأحداث. ولكن يجب أن تكون بحيث تعبر عن ذاتها بشكل واضح وصريح. إن الفرق والتمايز ضروريٌّ من أجل تعريف البناء.

من جهة ثانية ، فإن إيصال بناءاتنا للآخرين يتطلب منَّا تسميات لفظية. وهذه التسميات يجب ألاَّ تكون متداخلة ومشوهة بالبناءات ذاتها. وإن بناءان لهما نفس التسمية ليس بالضرورة تماثل وتجانس بينهما. وفوق ذلك ، فإن لكل منا بناءات غير لفظية non verbal constructs بحيث لا تنطبق عليها التسميات اللفظية ، وذلك بسبب كون البناءات غير محدَّدة أو معرَّفة جيداً. ثم إنها تعزى أحياناً إلى عدم الدقة في اللغة أو في استخدامها.

ج ـ ملازمة (خاصة) الفردية Individuality corollary.

«يختلف الأفراد عن بعضهم بعضاً في بناءاتهم للأحداث» (كيلي ١٩٥٥) فلكل فرد مجموعة فريدة ومميزة من البناءات الشخصية. ولا يوجد شخصان متشابهان تماماً في تفسيراتهم للأحداث (انظر الشكل ١٦ ـ ١) وإحدى النتائج المرافقة لهذه الاختلافات هو ما لا يتفق عليه. «حول الطريقة التي تكون عليها الأشياء the way things are».

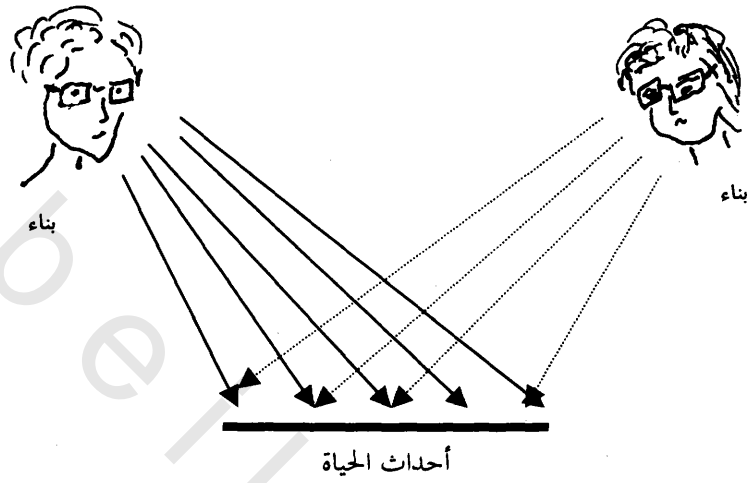

الشكل ١٦ ـ ١ يبين أن نفس أحداث الحياة ينظر إليها بشكل مختلف عند الأفراد لأنهم يستقبلونها ويدركونها من خلال بناءاتهم الفردية المميزة والتي تشبه نظارات ذات ألوان مختلفة

د ـ خاصية التفرع والانقسام the dichotomy corollary

«إن نظام البناء الشخصي لفرد ما يضم عدداً من البناءات الفرعية» ، (كيلي ١٩٥٥) فالبناءات الشخصية تكون ثنائية القطب bipolar ومتشعبة (dichotomy) ونحن نملك عدداً محدداً من هذه البناءات فالبناء يشير دوماً إلى الكيفية التي تتشابه بها الأحداث وتختلف عن بعضها البعض فوق ذلك ، فإن إنشاء بناء (تفسير) لحادثة ما يتطلب ثلاثة أمور: ١ ـ أن تكون الحادثة قابلة للتفسير ولوضع بناء خاص بها. ٢ ـ حادثة تكون مشابهة لها. ٣ ـ وحادثة تختلف عن كلا الحادثتين السابقيتين. مثلاً ، الشخص الذي يغوص في مسبح ويصيح «إنها جامدة» كوضع بناء (تفسير) للماء بأنه

متجمد ، يكون قد قارن الماء الذي غطس به مع الماء الذي فسَّره سابقاً (بناء) على أنه متجمد. وعليه أيضاً أن يميزه عن الماء الذي يكون بدرجة حرارة معينة ، كالدافىء والحار. إن مفهومه عن التجمد ليس له معنى بدون كلا المقارنتين. إن أحد قطبي البناء يحدد التشابه والثاني يحدد الاختلاف إن القطب الناتج الصريح emergent pole الذي يعين التشابه ، يستعمل مباشرة وبشكل صريح لوضع بناء أو تفسير للحدث. والقطب الضمني Implicit pole يعين الاختلاف ، الذي يستعمل بشكل غير مباشر على أنه النقيض. ففي المثال السابق ، كان التجمد هو القطب الناتج الصريح. في حين كان الدافىء أو الحار هو القطب الضمني (غير المباشر) للحادث الذي هو التجمد مقابل الدفء (كبناء شخصي). إن أيَّ القطبين هو الناتج الصريح وأيهما هو الضمني ، يعتمد على الموقف والوضع. فإذا كان الغطاس هو البطريق فربما يصف الماء بأنه دافىء عندها سوف تنعكس عملية القطب: الدافىء سوف يصبح القطب الناتج الصريح ، والتجمد يصبح القطب الضمني.

وكما يظهر فإن القطب الضمني للبناء يتضمن فقط الأحداث المناقضة. إنه لا يضم الأحداث غير المناسبة أيضاً. وبكلمة أخرى ، فإن الأحداث التي تتموضع في القطب الضمني يجب أن تكون في المدى المناسب للبناء. لنفترض أن شخصاً يستعمل البناء التالي: الصداقة مقابل عدم الصداقة. فالصداقة هي القطب الصريح الناتج (المباشر) أما عدم الصداقة وهي القطب الضمني (غير المباشر) يمكن أن يستعمل لوصف (وضع بناء ـ تفسير) الناس وبعض الأمكنة ولكن لا يستعمل لوضع بناء (تفسير) حقائب وقمصان. . . إن هذه الأخيرة ليست في المدى المناسب (الملائم) للبناء not within the, vange of convenience.

هـ ـ خاصية المدى the Range corollary

«يكون البناء مناسباً لعدد محدد فقط من الأحداث» (كيلي ١٩٥٥) إن

مدى مناسبة البناء وتلاؤمه يكون محدداً وهذا يعني أن الناس يواجهون أحداثاً لا يمكن تفسيرها (لا تدخل) ضمن بناء معين. ونحن لا نستطيع تفسير (وضع بناء) لحدث ما بسبب ١ ـ أننا لا نملك بناءً يفسر هذا الحدث ويصفه. ٢ ـ لأن البناءات الموجودة عندنا تكون جامدة وكتيمة بالنسبة لحدث جديد.

القلق: عندما لا نستطيع بناء (تفسير) حدث ما ، فإننا نمر بحالة من القلق. ويضم القلق مشاعر غامضة من الخطر وكذلك العجز. ولا نستطيع «وضع إصبعنا» على ما نشعر به. إن تعريف كيلي للقلق يشرح هذه المشاعر على أنها نتائج مباشرة لعدم قدرتنا على تفسير (بناء construe) حدث ما يجب علينا أن نكون قادرين على بناء (وضع بناء) to construe حدث ما قبل أن نسلك أو نتصرف حياله تصرفاً ما. فمن وجهة نظر كيلي ، يكون العلاج النفسي للقلق غير السوي هو مساعدة العميل على:

١ ـ تطوير بناءات يمكنها التنبؤ بالأحداث المقلقة والباعثة على الاضطراب.

٢ ـ تعديل البناءات الموجودة بحيث تكون أكثر مرونة لوضع بناءات جديدة.

و ـ ملازمة (خاصية) التنظيم the organization corollary:

إن تفسير الشخص للأحداث التي يواجهها تضم خاصية ، وهي أن البناء عنده يعتمد على علاقات نظامية بين البناءات الشخصية. فالبناءات هي وحدات للشخصية. إن بنية الشخصية هي علاقة البناءات بعضها مع بعض. إن الناس يختلفون ، ليس فقط بسبب استعمالهم بناءات مختلفة ولكن بسبب أن بناءاتهم (تفسيراتهم) الشخصية تكون منظمة بطرق مختلفة. فيمكن لشخصين أن يكون لهما أبنية (تراكيب) شخصية متشابهة ، ومع ذلك فإن شخصياتهم تختلف بشكل واضح وذلك بسبب

أن بناءاتهم (تفسيراتهم) الشخصية تكون منتظمةorganized بشكل مختلف.

إن البناءات منظمة في تركيب هرمي hierarchial construct وأكثر البناءات فرعية ومرتبطة مع غيرها. وهذا ما يسمح لنا بالتحرك من بناء إلى آخر بنفس النمط ، وكذلك لحل الصراعات أو عدم التناسق بينها.

ز ـ خاصية (ملازمة) الاختيار the choice corollary.

إن الفرد يختار لنفسه البديل في البناءات الفرعية بحيث تسمح له إمكانية التوسيع والتعريف الدقيق المناسب لنظام بنائه الشخصي. فمن أجل التنبؤ بسلوك الفرد علينا أن نعرف ١ ـ البناء الذي يستعمله الفرد. ٢ ـ معرفة نوع القطب الصريح الناتج. فالشخص يختار (كما يختار القطب الصريح الناتج) القطب الذي ينتج درجة عالية من التنبؤ. إن الكفاية التنبؤية للبناء قد تدعم بتعريفها بدقة Definition وتوسيعها Extension على مدى واسع من الأحداث الجديدة المناسبة فالتعريف ، يضم اختيار القطب المناسب بدقة للبناء المناسب للأحداث السابقة. وبذلك فإن له إمكانية عالية للتنبؤ بالأحداث الحاضرة. فإذا كان التنبؤ دقيقاً ، فإن البناء يصبح أكثر دقة (أكثر تعريفاً وتحديداً more defined) لأن له إمكانية التنبؤ الناجح بالأحداث الأخرى.

والتوسيع أو الامتداد ، يضم اختيار البديل الأكثر إمكانية لتوسيعه وتعميمه على مدى واسع من الأحداث المناسبة والملائمة. فالبناء هنا يستعمل لتوقع أحداث جديدة أو متشابهة بطريقة جديدة. ويتحدث كيلي عن الفرق بين التعريف أو التحديد والاتساع أو التعميم كالفرق بين الأمن والمغامرة. إن تقرير الفرق بين التعريف والتوسيع يتضمن عملية التقويم الدقيق الناتج والخاصة بكل بديل. إننا في كل وقت نختار قطب البناء ، نرجع ـ ضمنياً ـ لتعريفنا وتحديدنا مقابل توسيع البناء وتعميمه من أجل اختيار القطب الذي يزيد من الكفاية التنبؤية للبناء.

ح ـ ملازمة وخاصية التجربة أو الخبرة: كيف تتغيَّر منظومة البناء.

The Experience Corollary: How a Construct System Changes

«يختلف جهاز أو منظومة البناء في تركيبه عندما يفسر بنجاح نتائج الأحداث وآثارها» (كيلي ١٩٥٥) فخاصية الخبرة، تبحث في الطريقة التي يتغير بها نظام البناء. وكما هو الحال في الفرضية المشتقة من النظريات العملية، حيث يجعل التنبؤ البناءات المستعملة مختبرة وممكنة القياس والتجريب لنرى كيفية تفسيرها للأحداث. فالبناءات التي تجري أو تحدث تنبؤات دقيقة، تُعاد بشكل نظامي في شكلها الحالي ويتم احتفاظها أما تلك التي تفشل في قدرتها التنبؤية الدقيقة فيتم تعديلها modification أو حذفها وإهمالها eliminition إن الحياة مليئة بالأحداث الجديدة التي يجب مواجهتها وتفسيرها. ولذلك فإن التغيرات البسيطة في جهاز بناءاتنا يحدث دوماً وطوال الوقت.

يعرف كيلي (١٩٥٥) الخبرة بأنها التفسير (وضع بناء) الناجح للأحداث وتضم أكثر من مجرد كشف نجاح الأحداث. إن كل خبرة أو تجربة تحدث، علينا أن نفعل شيئاً حيالها حين حدوثها والأمر الأهم في سلوكنا حيالها هو تفسيرها (أي يجب أن نفسرها We must Interprate it) يقول كيلي، إذا لاحظنا الأحداث بشكل سلبي، فإننا لا نملك خبرة أو تجربة ولا نحصل عليها فلكي نملك الخبرة علينا أن نشارك في الأحداث وأن نفسرها (أي أن نضع لها بناءً تفسيرياً).

ط ـ خاصية التعديل والانتقال: متى يتغير نظام البناء.

«The Modulation Corollary: When Aconstruct System Changes»

إن هذه الخاصية، توضح لنا متى يمكن لمنظومة البناء عندنا أن تتغيَّر. وهذا التغير يحدث كما وضح كيلي، استناداً إلى القدرة النفاذية لجهاز البناء ووفقاً لمدى ملائمته لمختلف الأحداث.

أولاً ، تتغير البناءات فقط ، إذا كانت قابلة للنفاذ والاختراق فكلما كان جهاز البناء قابلاً للنفاذ ، فإن إمكانية التغير فيه تكون أكبر.

ثانياً ، علينا أن نكون قادرين على تفسير (وضع بناء) للتغير ذاته. إن تغيير البناء؛ أو مجموعة البناءات هو حدث ما (يجب تفسيره ـ أي وضع بناءً له) وفوق ذلك ، من أجل أن يكون للتغير تأثير في سلوكنا ، يجب أن نملك بناءات فرعية تفسِّر التغير ذاته. إننا بحاجة لبناء يمكن أن يمكننا ويسمح لنا بأن نشعر بالتغير ونفسره.

الانفعال: هو وعي تغير البناء awareness of construct change لقد أراد جورج كيلي أن يبني نظرية واسعة للشخصية يمكنها أن تضم كل أشكال السلوك الإنساني. إن نظريته عن البناء الشخصي كانت مجردة جداً. ونظر إلى التفكير والسلوك والمشاعر على أنها عمليات منفصلة. وقد فسرها جميعها بنفس المصطلحات النفسية.

لقد عُرفت الانفعالات في نظرية البناء الشخصي ، على أنها وعي للتغير أو الحاجة للتغير في نظام البناء عند شخص ما. إن التغير:
١ ـ قد يكون واسعاً شاملاً (عظيماً magor) أو وقتياً (صغيراً minor) ٢ ـ وقد يضم الصدق (أي التنبؤ الناجح) أو عدم الصدق (تنبؤ غير صادق) للبناء. ٣ ـ أو يحدث في الدور الجوهري الرئيسي للبناء (البناءات المركزية والجوهرية عند الشخص) أو في الدور الهامشي للبناء (البناءات غير الجوهرية والفرعية عند الشخص) (ميكوي ١٩٨١) والجدول (١٦ ـ ١) يزودنا ببعض الأمثلة عن الانفعالات الشائعة المعرَّفة والمحدَّدة النوعية وفقاً لنظرية البناء الشخصي للعلاَّمة المعالج جورج كيلي.

ي ـ خاصية العمومية أو الشيوع the commonality corollary.

إن القول: إن أحد الأشخاص يستخدم بناءً مشابهاً لذلك الذي يستخدمه أو يطبقه شخصٌ آخر ، هو أن عملياته تكون متشابهة سيكولوجياً مع تلك العمليات التي للشخص الآخر. إن الفروق بين الناس تعزى إلى

فروق في كيفية تفسيرهم (بنائهم) للأحداث. ويتبع ذلك أن التشابه بين الناس يعزى لتشابه في بنائهم وتفسيرهم للأحداث. فقد يتصرف أو يسلك شخصان بطريقة متشابهة؛ إنهما يفسران (يبنيان) الأحداث بطريقة متشابهة لنأخذ مثلاً ، أحمد ومحمد يحاولان أن يقررا فيما إذا كانا سيأكلان في مطعم صيني إنهما ينظران إلى قائمة الطعام في النافذة. يلاحظ أحمد أن الأسعار معقولة ، ويرى محمد أن القائمة تضم بعضاً من مأكولاته المفضلة واللذيذة ، فبشكل مستقل ، قرر كل واحد منهما أن يأكل في المطعم. إن قرارهما قد تم بتفسير (بناء) حادثين منفصلين (قائمة الأسعار وقائمة الاختيار) إنهما فسراها (بوضع بناء شخصي) بشكل متشابه(يجب أن نأكل هنا). فالنتيجة هي نفس السلوك (تشابهه) وهو القرار بتناول الطعام في المطعم. تعزى الثقافة عموماً إلى مجموع الناس الذين يظهرون سلوكيات وتصرفات توصف بأنها نتيجة للتشابه في البيئة. ويقول كيلي عن هذا المفهوم: «ينتمي الناس لنفس المجموعة الثقافية ، ليس لأنهم يسلكون بتشابه فقط ، ولا لأنهم يتوقعون نفس الأشياء ، ولكن (بشكل خاص) لأنهم يفسرون أو يبنون construe خبراتهم بطريقة واحدة».

الجدول ١٦ ـ ١ .

التهديد	الشعور بالتغير الشامل وشيك الوقوع في جوهر دور البناء.
الخوف	الشعور بالتغير المؤقت في حميم وجوهر دور البناء للفرد.
الشك	الشعور بالتغير المؤقت في هامش دور البناء للشخص.
الحب	الشعور بصدق الدور الجوهري للبناء الشخصي.
السعادة	الشعور بصدق جزء من الدور للبناء الشخصي.
الرضا	الشعور بصدق الدور جزء من الدور الهامشي للبناء الشخصي.
الحزن	الشعور بعدم صدق جزء أو كل الدور الجوهري للبناء.
الثقة بالنفس	الشعور بتجانس مفهوم الذات مع الدور الجوهري للبناء.
الخجل	الشعور باختلاف مفهوم الذات عن بناء (تفسير الشخص) للدور الجوهري.
الغضب	الشعور بعدم صدق بناء الشخص بحيث يؤدي للعدوان.

الجدول ١٦ ــ ١: يبين بعض الانفعالات وتفسيرها وفقاً لنظرية البناء الشخصي (عند كيلي)

ك ـ خاصية (ملازمة) الاجتماعية sociality corollary.

إن القول بأن شخصاً ما ينشىء ويضع عمليات بناء (تفسير) لشخص آخر يعني أنه يلعب دوراً هاماً في العملية الاجتماعية المتضمنة ذلك الشخص. إن خاصية الاجتماعية تضع المطلب الأساسي للعلاقات البين شخصية. وعند كيلي، فإن لعب الدور playing role في العلاقة مع الآخر يتضمن بناء كيفية نظر الشخص الآخر للأحداث. إن لاعب الدور عليه أن يحاول تفهم جزء من نظام البناء الشخصي للآخر، وعليه بشكل خاص، أن يهتم بكيفية نظر الشخص الآخر للدور الذي يلعبه هو نفسه. لنفترض أن طالبة تريد أن تقوم بدور «الطالب» في علاقة مع البروفسور، عليها أن تتنبأ بكيفية تفسير ونظر الأستاذ للطالب ثم تتصرف وفقاً لذلك. مثلاً، إذا فكرت هذه الطالبة أن الأستاذ يصف أسئلتها الكثيرة على أنها جزء من دور الطالب فعليها أن تسأل أسئلة كثيرة بالتالي.

من المهم، عند كيلي، أن يحاول الشخص القائم بالدور أن يستنتج وجهة نظر الشخص الآخر. إن لاعب الدور بحاجة ليس بالضرورة لأن يكون ناجحاً، وإنما المهم هو أن يفهم البناءات الشخصية للآخر. إن القائم بالدور ليس عليه أن يفسر (يضع بناء) كما يفعل الشخص الآخر. بل عليه أن يتفهم نظرة الآخر (بناءاته)، وفوق ذلك، فإن الناس بحاجة ليس لأن يكون لهم نفس البناءات الشخصية من أجل تفسير سلوكيات الآخرين وتصرفاتهم وبناءاتهم الشخصية.

٤ ـ التقويم التشخيصي للبناءات الشخصية.

إن البناءات الشخصية تحدد السلوك. ولكن ملاحظة السلوك لا يزودنا بمعلومات صادقة وموثوقة عن كيفية تفسير الناس وبنائهم للأحداث. فقد يسلكون بشكل متشابه تماماً مع أنهم يفسرون الأحداث بطرق مختلفة.

لنأخذ مثلاً ثلاثة رجال يلعبون الغولف مع بعضهم صباح الجمعة أحدهم يرى رياضة الغولف على أنها رياضة تنافسية وكل أسبوع من لعبه يحاول تحسين أدائه ليتفوق على زميله أو منافسه. أما الشخص الثاني ، فإن اللعبة بالنسبة إليه ليست أكثر من مجال للتفاعل الاجتماعي وتكون علاقة أو نشاط اجتماعي أكثر من أنها حدث رياضي تنافسي. إن رجلاً ثالثاً ، ينظر ويفسر (يبني) رياضة صباح الأحد على أنها فرصة ليكون خارج المنزل ويمارس بها بعض التمرينات أو الأنشطة. إن من الصعب التنبؤ بدقة ببناء كل شخص (تفسيره) للأحداث من خلال ملاحظة سلوكه فقط.

فإذا كان اهتمامنا فقط من أجل التنبؤ بما يفعله الشخص يوم الأحد التالي (في المثال السابق) فإن مجرد ملاحظة سلوكه تكفي لتزودنا بمعلومات عن ذلك. ولكن معرفة كيف يفسر (ويبني) كل شخص لعبة ومباراة الغولف يوم الأحد ، يسمح لنا بالتنبؤ بكيفية سلوكهم في المواقف المختلفة مثلاً ، قد نتنبأ بأن الشخص الأول ، ربما يكون تنافسياً في عمله كما هو الحال في لعبه ورياضته (الغولف) إذا استعمل نفس البناءات الشخصية (تفسيراته) للعمل ومباراة الغولف.

بغض النظر عن ملاحظة سلوك الفرد ، فإن بالإمكان سؤال الشخص ذاته عن بناءاته الشخصية (تفسيراته) للأحداث بالرغم من أن البناءات لا يمكن دوماً أن نتوصل إليها دوماً في مجال العمل. كما أن للكلمات معانياً عريضة واسعة لتقدم لنا معلومات محددة دقيقة. ولذلك فالأسئلة المباشرة أيضاً قد تكون غير مثمرة أو مجدية لمعرفة البناءات الشخصية للفرد.

اختبار دور البناءات في ذخيرة الفرد: Role constructs Repertory Test:

لقد وضع كيلي تقنية لقياس البناءات الشخصية وتشخيصها وذلك لتجاوز بعض المشكلات المتعلقة بالملاحظة السلوكية والسؤال الموجَّه.

إن اختبار دور البناءات في ذخيرة الفرد (Rep - test) يزود بالأبنية (التراكيب) التي نستعملها لتفسير (وبناء) الناس المهمين في حياتنا. ودور البناء هو التركيب الذي يستعمله شخص ما لتفهم وجهة نظر الآخرين (بناءات الآخرين) ولاستدعاء بناءات الدور، فإن المفحوصين في البحوث، والمتعالجين في عملية العلاج، يقارنون (يميزون) بين الناس في حياتهم الشخصية. إن هذه العملية تسمى تصنيف Sorting.

في نموذج أو شكل الشبكة grid form للاختبار (Rep - test) فإن شبكة أو مصفوفة matrix يتم بناؤها. والناس المهمون في حياة المفحوص، تسمى أشكالاً Figures تكون في أحد المحاور. والبناءات المستعملة لتفسير (البناء) الآخرين تكون في المحور الثاني. وفي الشكل ١٦ ـ ٢ نموذج مصغر يمثل ذلك، سوف نستعمله لتمثيل كيفية عمل هذه التقنية السلوكية. إن الخطوات التالية متضمنة في الشبكة نفسها.

نوع		١ ـ الذات	٢ ـ الأم	٣ ـ الزوج	٤ ـ الشخص السعيد	٥ ـ الشخص الناجح	٦ ـ الشخص الفعال	٧ ـ الشخص الأخلاقي	البنـــــاءات: التشابه / الدور الظاهر الناتج	الاختلاف / الدور الضمني
١		×	0	×		0	0		منظم	تلقائي
٢	0	0	0				×		ذكورة	أنوثة
٣		×		0	0	×	0		صارم	مرن
٤	0	0			0	×			عقلاني	انفعالي

الشكل ١٦ـ٢ مثال من جزء من الشبكة التامة لاختبار دور البناء (Rep-test)

فالخطوات هي التالية:

١ ـ أولاً ، على المفحوص أن يعطي اسم الشخص المناسب لكل دور وفقاً للأدوار الموجودة في أعلى الشبكة.

٢ ـ ثانياً ، على المفحوص وصف ثلاثة أشخاص يشار إليها بدائرة في الصندوق تحت الأسماء الموجودة في البند الأول (وفي الشكل هي تيري ، ستيفن ، وهاري) يقرر المفحوص في أي طريقة هامة يتشابه شخصان أو يختلفان عن شخص ثالث. إشارة (x) توضع تحت اسم الشخصين المتشابهين وهما (ستيفن ـ وهاري) والصفات التي تجمعهما تسمى القطب الناتج الصريح أو الظاهر للبناء (المنظَّم organized) أما الصفات التي تجعل الثالث (تيري) يختلف عنهما فتصبح القطب الضمني للبناء (تلقائي spontaneous).

٣ ـ بعد ذلك ، يصف المفحوص الناس المتبقين (أولئك الذين لم يُقارنوا ولم يختلفوا في المجموعة) وتوضع إشارة (x) تحت أسماء أولئك الأشخاص يوصفون بالقطب الناتج الظاهر (آنا ومارتين).

٤ ـ الخطواتان (٢ و٣) السابقتان تتكرران بالنسبة لكل مجموعة.

يزود اختبار دور ذخيرة البناء (Rep - test) «the vole construct Repertory test» بالبناءات التي يستعملها المفحوصون لتفسير الناس المهمين في حياتهم. إن إشارة x تشير إلى تشابه البناءات مثلاً ، بغض النظر عن التسميات اللفظية التي تشير إلى كل بناء (القطب الصريح الناتج أم الضمني) فإن البناءات بأشكال متماثلة يفترض أنها متساوية ومتوازية (في الشكل ١٦ ـ ٢ ، منظمة مقابل تلقائية هي المساوية لـ صارم مقابل مرن) إن نموذج الشبكة يستعمل بكثرة في بحوث البناءات والتراكيب الشخصية (فرانزيلا وبانيستر ١٩٧٧ ، باثودا ١٩٨١).

٥ ـ تطبيقات نظرية البناء الشخصي

لقد طبقت نظرية البناء الشخصي في ميادين متعددة في علم النفس وغيره من العلوم ومن هذه التطبيقات كانت: مشكلات الأطفال المتخلفين عقلياً (ميكونا ١٩٨٣) والعلاقات الزوجية والعلاج الزواجي والأسري (ماكوي ١٩٨٠ ، نايميز وهودسون ١٩٨٥) الانتحار (كيلي ١٩٦١ ، ستينيان وليندز ١٩٨٥) وانحراف الأحداث (كيل وتايلور ١٩٨١ ، ميلر وتيرتيشر ١٩٨١) وسيكولوجية الموت (وارن وباري ١٩٨١) تعليم الطلاب (دايموند ١٩٨٥) والتعليم التجريبي (هاري وإكستاين ١٩٨٥) والتصميم المدني والزراعة (هوينكمان ١٩٧٦ ، وهودسون ١٩٧٤) اتخاذ الأحكام والقرارات في الرياضة (هاري وتوردون ١٩٧٦) والأحداث السياسية (دبريز ١٩٧٧) وكما هو الحال في أكثر استراتيجيات الشخصية ونظرياتها ، فإن العلاج النفسي هو الميدان التطبيقي الرئيسي لنظرية البناء الشخصي (مانيستر ١٩٨٥ ، لاندفيلد ولاينتز ١٩٨٠).

٦ ـ علاج الشخصية وتغيرها «Personality psychotherapy and change»

البديلية البنائية constructive alternativism هو الأساس الفلسفي لنظرية البناء الشخصي ، حيث يعتمد الناس دوماً في إعادة بناء الأحداث وتفسيرها ، وهذا يعني أن الناس دائماً يغيِّرون شخصياتهم إن تغيُّر الشخصية هو جزء من نظرية البناء الشخصي.

آ ـ مشكلات المتعالجين من وجهة نظر البناء الشخصي.

وفقاً لنظرية البناء الشخصي ، فإن السلوك الشاذ والمشكل ، يشبه كل أنواع السلوك الأخرى ، فهو يحدث بسبب كيفية تفسير (إنشاء بناء) الناس للأحداث. بشكل خاص ، إن الأفراد الذين يظهرون اضطرابات وسلوكاً شاذاً عندهم صعوبة في مواجهة الأحداث بطريقة تقود إلى استجابة تكيفية

أو تكيف سوي بحيث يأخذ عدة أشكال:

١ ـ ليس لديهم بناءات (تفسيرات) مناسبة. ٢ ـ يملكون بناءات جامدة أو غير مرنة ومتطرفة بحيث لا تسمح بتفسير الأحداث الجديدة. ٣ ـ عندهم بناءات متطرفة في مرونتها أيضاً.

ب ـ طريقة البناء الشخصي في تغير الشخصية وعلاجها:

إن الهدف العام للعلاج النفسي وفقاً لنظرية البناء الشخصي، هو مساعدة المتعالجين على أن يطوروا نظام البناء عندهم بحيث يسمح لهم بالنمو بصورة طبيعية سوية. وهذا يشبه ما دعا إليه روجرز في العلاج المتمركز حول العميل.

إن تغيُّر الشخصية يعتبر عملية مستمرة إنه ليس حالة نهائية للتكيف أو الصحة والسلامة أو أنه بناء ستاتيكي مثالي إن المعالج يضع مراحل لسير المتعالج وتطور جهازه البنائي الشخصي وتنقيحه. ويمثل المعالج بطريقة مباشرة أو غير مباشرة دور العالم الذي يضع فرضيات حول الأحداث المقبلة، يختبرها، ومن ثم يعدِّل أو ينقِّح نظرية البناءات التي تقود للفرضيات من أجل زيادة فعالية وكفاءة النظرية.

فالعلاج وفقاً لهذه النظرية، يعمل على تغيير البناءات الشخصية بطريقة غير مباشرة. خاصة، وأن المتعالج يتم تشجيعه من أجل تغيير سلوكه وبالتالي، فإن هذا ينتج في إعادة بناء (تفسير) الأحداث وكذلك في جهاز البناءات المعدَّل. إن التصرفات والسلوكيات الجديدة، تشير إلى أن المتعالج ينظر للأحداث بشكل مختلف إن المبدأ الأساسي لتغيير السلوك (علاجه) هو عن طريق تغيير البناءات، وهو الدليل على العلاج بالدور الثابت Fixed - role therapy.

ج ـ العلاج عن طريق الدور الثابت:

في هذا العلاج، يلعب المتعالج دور أحد الأشخاص الذي يكون

سلوكه متسقاً مع جهازه البنائي بحيث يكون مفيداً ومساعداً للمتعالج أن يتبناه ويعتمده. وعن طريق لعب الدور الثابت يتصرف المتعالج بالطريقة التي تعدل نظامه وجهازه البنائي الحالي.

يكتب المتعالج وصفاً ذاتياً مفصلاً كما أنه يكمل عدداً من الاختبارات الشخصية التي تصف الذات. وباستعمال هذه المعلومات ومعرفة مشكلات المتعالج يضع المعالج مخططاً وصفياً للدور الثابت الذي سيلعبه المتعالج. إنه يصف بدقة الدور الذي سيقوم به. ومن خواص تثبيت الدور ، المقارنة بينه وبين أدواره السابقة.

وحين يحدد المعالج ويضع مخطط لعب الدور المطلوب بشكل مفصَّل فإنه سيكتب للمعالج (الذكر) الذي يصف ذاته بالسلبية Passive والخجل shy والملل boring ، أو يملك صعوبات في هوية دور الجنس Sex - role Identity.

إن هذه الطريقة العلاجية تتم فقط بالتعامل مع عدد قليل ومحدود من البناءات الخاصة بالعميل المتعالج. بحيث يهدف إلى خلق وإحداث تغيرات رئيسية في الشخصية. وغالباً ما يضم العلاج بتثبيت الدور بعض الصفات الإيجابية للمتعالج. بحيث يتيح له سهولة لعب الدور وممارسته بصورة واقعية.

لا يطلب من المتعالج في هذه الطريقة العلاجية ـ أن يلعب دور الشخص كما وضع في المخطط الوصفي للمعالج (لوحده) ولكن يطلب منه لعب الدور لفترة من الزمن (أسبوع أو اثنين) وغالباً ما يقف المتعالج عن التفكير في سلوكه الجديد الذي يمثل الدور المطلوب اكتسابه. إنه يصف دوره باعتباره الأسلوب الطبيعي لسلوكه. وغالباً ما يعتمد المتعالج الدور الجديد الثابت باعتباره السلوك المتسق مع غيره من أنماط السلوك عنده. وحينها يتبنى البناءات التي تكون الأساس في السلوك الجديد. وهذا هو الهدف النهائي للعلاج عن طريق تثبيت الدور.